# أسماء العشب والشجر فى بوادى العرب

لحضرة العضو المحترم الدكتور عبد الوهاب عزام (*)

لا أقصد بكلمتى هذه إلى أن أزيد علماء النبات أو اللغويين معرفة بأعشاب البلادالعربية وأشجارها ، ولا أريد إيضاح ماذكره اللغويون مجملا أو مبهما ، ولاتسمية مالم يعرف له اسم عربى من أنواع النبات ، ولكنى أريد التنبيه إلى ماعسى أن يستفاد من البحث فى البوادى ، فى إكمال معاجم النبات العربية أو توضيحها أو تصحيحها ، والتعريف بأن العرب فى بواديهم لايزالون يتكلمون بما تكلم به آباؤهم من قبل فى تسمية الأعشاب والأشجار وصنوف النبات ، وأن زمان الاستفادة من البوادى فى هذا الشأن لم يمض.

ذهبت لسياحة فى جزيرة سيناء مع جماعة من أساتذة كلية الآداب وطلابها شتاء سنة ١٩٤٠ م . وكان من همى فى هذه السياحة أن ألقى الأعراب وأتحدث اليهم على قدر مايتسع الوقت فى هذه السياحة القصيرة .

وكان أول من تحدثت إليه أعرابياً اسمه مطير من قبيلة اسمها القرارشة . فسألته عن نبات صغير تنبت أغصانه من جذوره مستقيمة دقيقة وله ورق مستطيل دقيق ، فقال : هذا الرِّتَم . فذكرت قصة أبى الطيب المتنبى حين فارق مصر إلى العراق وارتاب فى الطريق بأحد عبيده فضربه بالسيف فخر على رتمة . وذكرت قول الراجز :

نظرت والعين مبينة التهم
إلى سنا نار وقودها الرِّتَم
شُبت بأعلى عانِدَين من إضم

وسألت من بعد اعرابياً اسمه حُميد ركبت جمله إلى جبل موسى :

قلت : أهنا ثمام ؟ قال : لا . فى وادى كذا ثمام كثير . قلت : نحن نقرأ فى كلام العرب قولهم : هذا الشيء على أطراف الثمام . قال : نعم كذلك نقول إذا كان الشيء كثيراً قريباً لأن الثمام قصير .

وسرت يوماً على ظهر جمل اسمه هِدِيّان واسم صاحبه فرحان وكان معى أحد الطلاب على جمل آخر اسمه صبيح .

وكان معنا صبى فطن لقن اسمه سعد دون العاشرة تطوع لصحبتنا . وسمعنى سعد أسأل عن أسماء النبات . فكان لايمر بنبات إلا سماه وقلعه أو قطع فرعاً منه وناولنى إياه .

ناولنى شيحة . فقلت : أهنا قيصوم ؟ فأسرع بعد قليل إلى شجيرة فقلعها وأتى بها وقال : هذه قيصومة وهى تشبه الشيح لا يميز بينهما إلا الخبير بالأعشاب .

(*) ألقى هـذا البحث فى الجلسة الثالثة عشرة للمؤتمر (١٥ من يناير سنة ١٩٤٩) . انظر القرار الثالث من « القرارات الادارية والتنظيمية » فى هذه الدورة .

ثم مررنا بنبات صغير لاطئ بالأرض له عصارة لزجة فقال سعد : وهذه لُبّيدة . ورأى شجرة شوك كبيرة فقال هذه سِلّة . ثم سمى من ضروب النبات الذى مررنا به الوِرَاقة والكَبَاث وهويشبه السلة ولكنه أضعف شوكاً وكان جملنا هديان إذا مر بكباثة أبى إلا أن يميل إليها ليأكل منها . والكباث في معاجم اللغة ثمر الأراك . وهو غير هذا .

ومما رأينا الخِرْماع . وهو نبات له أصل مستقيم كالعصا وفروع قصيرة رأيت واحدة منها يابسة فأشرت إلى سعد فجرى إليها وحاول قلعها فاستعصت عليه فناديته أن اتركها فأبى وما زال يقوم بها ويقعد حتى قلعها .

وأرانى سعد من النبات النعمان وأصابع العجوز والمَرْوَرَة والبِرْكان والدِّهْمى وكلها من النبات الضعيف الصغير .

ورأيت الزعتر والعُثيزان . قال سعد : هو نبات الحمير .

ولما اجتزنا وادى فاران فى رجوعنا لقيت صبياً اسمه ربيع يرعى غنما فسألته عن نبات ضعيف يشبه البصل قال : بَرْوَق .

أقول : البروق معروف فى أمثال العرب . قالوا : أشكر من بروق لأنه يعيش بأدنى ندى يقع على الأرض . وقالوا : أضعف من بروقة.

ثم سألت ربيعاً عن نبت آخر فقال هو الرِّمث . قلت رأيت حطب الرمث فى العراق وهو أطول من هذا وذكرت قول أبى الطيب يذكر ناقته فى قصيدته التى مدح بها ابن العميد :

تركتْ دخان الرمث فى أوطانها
طلباً لقــوم يوقدون العنــبرا

وتوقفنا فى مسيرنا من بعد عند جبل يسمى جبل الزمرد فسألت أعرابياً هناك عن عشب ضعيف له زهر بنفسجى قال هو البَهَك ينبت بعد المطر ، ثم سألته عن نبت له ثمر مستدير ذو شوك فقال السعدان . قلت أهو هذا ؟ وتذكرت حسك السعدان وقول العرب : مرعى ولا كالسعدان .

وأكثر هذه الشجيرات مذكور فى كتب اللغة باسمه المعروف اليوم وبعضها يذكر باسم قريب . وبعضها لم أعثر عليه فى المعاجم مثل اللُبيدة والخرماع . وفى معجم أحمد عيسى أم لُبيدة ولعلها اللبيدة التى ذكرت .

* * *

وفى هذه السنة رأيت فى جزيرة العرب شجراً ونباتاً أسماؤها كما نعرف فى كتب اللغة والأدب ، وعرفت تمييز العرب بين فصائل من الشجر متشابهة لايفرق الناظر غير الخبير بينها مثل السَّلَم والطَّلْع والسَّمُر والعَوْسَج وهى كثيرة فى أرجاء الجزيرة .

ورأيت المَرْخ كثيراً وفى المثل العربى : لكل شجر نار واستُمجد المرخ والعفار.

وكنت على مقربة من بدر فرأيت شجرة

حسبتها أراكاً ، ولكن دليلنا « عايداً » تأمل فيها وقال : هذا تَنْضُب . وفى القاموس « والتنضب شجر حجازى شوكه كشوك العوسج » وفى اللسان « والتنضُب شجر ينبت بالحجاز وليس بنجد منه شيء إلا جِزْعة واحدة بطرف ذِقان عند النقيدة . وهو ينبت ضخماً على هيئة السرح وعيدانه بيض ضخمة » .

وقال أبو نصر : « التنضب شجر له شوك قصار وليس من شجر الشواهق . » والذى رأيته شجرة لها أغصان ذات أنابيب متواصلة وليس له ورق . فما أدرى أهو تنضبة صغيرة أو ضرب آخر كما يؤخذ من كلام أبى نصر .

ورأيت عايداً يقلع نباتا فيضعه تحت عجل السيارة وقد ساخت فى الرمل فقلت ماهذا قال : عرفج . قلت : رأيت العرفج فى نجد وهو غير هذا . قال : ذاك النبات الأبيض ؟ نعم : يسمى فى نجد عرفجاً .

قلت إن اختلاف الروايات فى كتب اللغة تنشأ أحياناً من مثل هذا أعنى اختلاف التسمية باختلاف البقاع .

وفى الطريق بين مدينة الرياض والخرج وهو قرى ومزارع على ٨٥ ميلا من الرياض إلى الجنوب والشرق وقفنا السيارة فى روضة فيها ضروب العشب والشجر . وكان سواقنا من قبيلة الدواسر وهى تنزل على واد يسمى باسمها يهبط من اليمين إلى الشمال الشرقى ، وكان على معرفة بنبات البادية ولكن الحارسين اللذين رافقانا كانا أبلغ معرفة لم يجهلا شيئاً مما سألناهما عنه . وقد سألتهما ، فعرفانى بالأنواع الآتية فأخذت أصولا منها وفروعاً ، وهى :

الخُزامى والحَمْض والحَوْذان والنَّفَل والقَيْصُوم والثُّمام والعُنْصُل ، والبُعَيْثران والعِشْرِق والسَّنا والعَرْفَج والخَطْمِيّ .

وكلها معروفة فى شعر العرب وكتب اللغة إلا البعيثران لم أجده فى المعاجم اللغوية ولكن وجدت العَبَيْثَران والعَبَوْثَران . ولاأدرى أأخطأت السماع أم تغير الاسم . وفى معجم النبات للدكتور أحمد عيسى البُعيثران .

وقد ذكرنى الحوذان والنفل بقول أبى الطيب فى قصيدة يمدح بها عضد الدولة :

سُبُل تطول المكرمات بهـا
والمجد لاالحَوْذان والنَّفَل

وقد سألت أحد الحارسين عن شجرة حنظل فقال هذا الشرَى . والمعروف فى كتب اللغة الشَّرْى بسكون الراء ولكن البدوى يصعب عليه النطق بالحرف ساكنا قبل آخر الكلمة لالتقاء الساكنين . وسألته عن حنظلة صغيرة قلت : ألا تسمى الهَبيد ؟ قال كله هبيد . وفهمت من كلامه أن الهبيد لب الحنظل أو شحمه كما يقول اللغويون .

وذكرت قول المعرى فى اللزوميات :

كذاك نعام القفر يخشى من الردى
وقوتاه مرو بالفلا وهبيدُ

وقوله :

وكم ظالم يلتذ شهداً كأنه
ظليم قراه بالفلاة هبيدُ

ومن الأسماء التى سمعتها من رفيقىّ ولم أعرفها من قبل :

القرقاص ، والذنابى ، والمَكْر والنَّقد والرمارم . وقال محدثى إن الرمارم نافع فى عضة الثعبان .

ولم أجد فى كتب اللغة القرقاص ووجدت الذنابى باسم الذَّنَبان والمكر فى اللسان بسكون الكاف والرَّمارم بلفظ الرمرام . ويقول صاحب القاموس : يأخذه الناس يسقون منه من العقرب .

ورأينا فى نجد عائدين من الرياض القتاد وهو شجيرات صغار لها أغصان يكسوها شوك صلب حاد . ولهذا قال العرب فى الأمر البعيد : « دون ذا خرط القتاد » .

وقصارى القول أن فى بوادى العرب ضروباً كثيرة من النبات لها أسماء تعرفها البادية وهذه الأسماء تتناول الأجناس والأنواع والفصائل وتميز بين الأشباه .

معظم هذه الأسماء معروف فى الأدب القديم ومعاجم العربية ، وقليل منه لايلتى فى المعاجم.

فذهاب طائفة من علماء النبات واللغة إلى تلك البوادى وبحثهم عن ضروب النبات وأسمائها ووصفها وتصويرها حرى أن يؤدى إلى هذه النتائج :

١ — تحقيق الأسماء القديمة ومعرفة مسمياتها معرفة بينة .

٢ — والفصل فى الروايات المختلفة فى مدلول اسم من أسماء النبات بمعرفة مدلول الاسم فى هذا العصر وتصويره وبيان أن بعض الروايات التى فى المعاجم غير صحيحة أو أن المسمى يختلف باختلاف البقاع أحياناً .

٣ — وتسمية مالم يعرف له اسم عربى من أصناف النبات التى يعرفها النباتيون بأوصافها دون أسمائها أو يعرفونها بأسمائها اللاتينية . فعالم النبات يعرف النبتة حين يراها فى البرية فيسأل عنها فيسميها بالاسم الذى يسمعه .

وهذا أيسر على الباحثين وأقرب إلى التحقيق وأوثق فى التسمية من تعريب الاسم الأعجمى أو ترجمته أو ارتجال اسم للنبات .

* * *

فأقترح أن يتعاون مجمع اللغة العربية وجامعة فؤاد الأول على إرسال بعثة إلى جزيرة العرب أو إلى ماهو أقرب منها كبادية سيناء والصحراء الغربية المصرية . لتبدأ العمل فى هذا فترى الشجر والنبات وتصفهما وتصورهما ثم تعرض على المجمع نماذج من عملها ليتخذ الوسائل الكفيلة بالمضى فى العمل إلى غايته . وبهذا يتسنى وضع معجم للنبات عربى يكون عمدة للباحثين ومرجعاً لطلاب الأدب واللغة الذين يعانون اليوم مايعانون فى الاستعانة بمعاجم اللغة لمعرفة مايرد من النبات فى الأدب والتاريخ وفنون أخرى .